مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٥) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٥) 2023

الحذف في قصيدة الرّثاء عند الشّاعر حامد حسن معروف
(عاد الرّبيع بكلِّ لاهثةِ العبير ولم تعودي هاجر –أم سهيل أنموذجاً)

أ.م. حسن شحّود*

هلا حسن محمّد**

(تاريخ الإيداع ٢١/٥ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ٨/٧ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يقفُ هذا البحث على مفهوم الحذف وأثرهِ في قصيدة الرّثاء عند الشاعر حامد حسن معروف في قصيدة (عاد الرّبيع بكلِّ لاهثةِ العبير ولم تعودي)، ويسعى البحث إلى تقصّي سُبل التراكيب النّحويّة ومعرفة دلالة الحذف فيها، كما أنّه يقدّم لمحة موجزة عن مفهوم النّظم وكيف يُعرب الشاعر من خلال نظمه وآليته عن المعنى، فلا شكَّ أن حذف لفظة أو تركيب أو حرف سيؤثر على معنى الجملة ويوجّه القارئ لاستكناه المحذوف ليعيد بناء ما أُسقط، وليكتشف ما أخفاه الشاعر وراء ستار الحذف وكَشْفه ليصبح النّص مفهوماً لا لُبس فيه ولا غموض، فالحذف وسيلةٌ لغويّةٌ تحتاج إلى حذق ومهارةٍ عالية لمعرفة أين وكيف ومتى يصحّ الحذف، فليس كل حذف يستحسن وفي المقابل هناك مواضع يفوق الحذف الذكر في الكشف عن المعنى، فهو يعتمد على إشراك المتلقي وجعله عنصراً فاعلاً في إنتاج النَّص .

الكلمات المفتاحية: النّظم، الحذف، المعنى، الرّثاء، حامد حسن معروف.

[١] *أُستاذ مساعد في قسم اللغة العربيّة، اختصاص النّحو والصّرف، كليّةُ الآدابِ والعلومُ الإنسانيّة، جامعة طرطوس، طرطوس، سوريّة.

[٢] ** طالبة دراسات عُليا (ماجستير) قسم اللّغة العربيّة – اختصاص لُغويات (نحو وصرف)، جامعة طرطوس، طرطوس، سوريّة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٥) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٥) 2023

The omission in the poem of lamentation by the poet Hamid Hassan Maarouf (Spring returned with all the gasping for fragrances, and Hajar did not return - Umm Suhail as a model)

Prof .Dr .Hassan Shahoud*
Hala Hassan Muhammad**

(Received ٢١/٥ /٢٠٢٣. Accepted ٧/٨/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

This research stands on the concept of deletion and its impact on the lamentation in poem of the poet Hamid Hasan Marouf (the poem of spring has returned with gasping for aromas and you have not come back Hajar - Um Suhail as a model), and the research seeks to investigate the ways of grammatical structures and to know the significance of deletion in them, and it also provides a brief overview of the concept Arrangement and how the poet expresses the meaning through his arrangement and mechanism. There is no doubt that the deletion of a word, structure or letter will affect the meaning of the sentence and direct the reader to his conviction of the omission in order to rebuild what was omitted and to discover what the poet hid behind the veil of deletion and revealed it so that the text becomes an unmistakable concept and no ambiguity. A linguistic means that requires skill and high skill to know where, how, and when the deletion is correct. Not every deletion is desirable, and on the other hand, there are places where the deletion exceeds the mention in revealing the meaning. It depends on the involvement of the recipient and making him an active element in the production of the text .**Keywords:** systems, deletion, meaning, lamentation, Hamid Hassan Maarouf

[1]*Associate Professor of Arabic Language, Grammar and Morphology, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Tartous, Tartous, Syria.
[2] **Postgraduate student (MA) Department of Arabic Language - Linguistics (grammar and morphology), University of Tartous, Tartous, Syria.

المقدّمة:

كان الشّعر، وما يزالُ، ميدانَ العرب؛ فهو ديوانهم الّذي به يسجلون تجارب حياتهم، إلّا أنّه مرَّ بفتراتٍ وعصورٍ مختلفةٍ قادرةٍ على تغيير تضّاريسِ الجبال، فكيف بالشّعر! وقد شَهدَ تغيّرات على الأصعدة كافّة .

إنَّ تراكيبَ اللّغة تعبير دقيقٌ عن أفكار المتكلّم، والشّعر يعكسُ الحياةَ الثّقافية والاجتماعيّة للعصر الّذي وجد فيه، فدراسة تلك التراكيب ومعرفة ما تحمله من معانٍ لها سبيلٌ مهمٌّ في تراثنا اللغويّ والنّقديّ من خلال النظم الذي له دور كبير في معرفةِ الفروقِ الدّقيقةِ والأسرارِ واللّطائف بينَ تركيبٍ وآخر.

اخترت هذا البحث انطلاقاً من الشغف والإعجاب بشخصيّة الشاعر حامد حسن–رحمه الله–، كما اخترت من بين موضوعاته الرّثاء لما يحمله من معانٍ سامية ورسالة بالنهاية المحتومة.

–أهداف البحث وأهميته:

يسعى البحث إلى توضيح مفهوم الحذف لغةً واصطلاحاً، وسيقدّم لمحةً موجزة في مفهوم النّظم فالحذف يندرج تحته فلا بدَّ من قراءة هذه النظرية، وسيدرس البحث صُور الحذف في القصيدة والأسرار الكامنة وراء تلك المحذوفات، في محاولة للوقوف على توضيح دلالة أسلوب الحذف في قصيدة الرثاء عند الشاعر حامد حسن قصيدة (عاد الرّبيع بكلّ لاهثة العبير ولم تعودي)، وتنبع أهمية البحث من كونه يسعى إلى الولوج إلى لُبِّ العمل الأدبيّ، ويلقي الضوءَ على مناطقَ لم تطأها أقلامُ الباحثِين بشكلٍ مستقلٍ، كما أنَّ لموضوع القصيدة أهميّة بالغة؛ فالشّاعر هنا لا يرثي زوجتَه فقط بل هو رثاءٌ لكلِّ جمالٍ إنسانيٍّ خلقه الله تعالى، فهو يصوّر معاناةً جماعيّةً .

–منهجيّة البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفيّ، الّذي يقوم على استقراء الظّاهرة موضوع الدّراسة، وتصنيفها، ثم تحليل معطياتها ومقارنتها بغيةَ الوصولِ إلى نتائجَ وأحكام سليمة.

–الدراسات السابقة:

الملامح الرومانسيّة في شعر حامد حسن : د. محمد معلا حسن، مجلّة جامعة تشرين للبحوث والدّراسات العلميّة، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مج:٣٥، ع: ٦ ، ٢٠١٣م.

تحدّث فيه الدكتور محمّد معلا حسن عن الملامح الرومانسية في إبداع الشاعر من خلال الصورة الشعرية واللغة والموسيقا، كما تطرّق للرؤيّة الفنيّة وملامحَ رومانسيّة أخرى تجلّت في شعر حامد حسن معروف.

الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم : مصطفى عبد السّلام ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩١م.

هي رسالة عن الحذف البلاغي في القرآن الكريم كان مؤلّفها قد أعدّها ليتقدّم بها إلى معهد الدراسات الإسلاميّة بالقاهرة للحصول على شهادة الماجستير وناداه ربّه، فلبّى النداء –بعد أن أتمّها– وقد عرض في بحثه لأكثر من ألف موضع من مواضع الحذف في القرآن الكريم موزّعة على أبواب ثلاثة، وأربعة وعشرين فصلاً، يقدّر فيها المحذوف ملتمساً سرّه البلاغي مراعياً كفاية الأمثلة في كلّ فصل .

الحذف في الجملة الاسمية والفعليّة في سورة آل عمران (دراسة نحويّة وصرفيّة): بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في النحو والصّرف، إعداد الطالبة : تهاني الطيب حمزة قسم السيد، إشراف: د. محمد علي أحمد عمر، جامعة السودان،١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.

تناولت هذه الدراسة موضوع الحذف في الجملة الاسميّة والفعليّة من خلال ما ورد منه في سورة آل عمران، وقد اشتمل البحث على ثلاثة فصول وستّة مباحث وخاتمة، ونتائج وتوصيات وفهارس، ففي الفصل الأول تطرّقت الباحثة إلى مفهوم الحذف وتعريفه لغةً واصطلاحاً، ومصطلحات متعلّقة به وأسبابه وفوائده وشروطه، وفي الفصل الثاني عرضت نماذج من الحذف في الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر)والجملة الاسمية المنسوخة، أمّا الفصل الثالث فكان عرضاً لنماذج الحذف الّتي برزت في الجملة الفعلية، وأفضت الدراسة إلى عدّة نتائج أبرزها: كثرة حذف الخبر في الجملة الاسمية في سورة آل عمران، براعة القرآن في إبراز المعنى وبيانه من خلال الحذف.

ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ: د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٩٨م.

جاء البحث في مقدمة وتمهيد تناول فيه الدكتور طاهر حمودة النظرية التحويلية وظاهرة الحذف وقضيّة الحذف بين القدماء والمحدثين، انتظم البحث في خمسة فصول تحدّث في الفصل الأول عن أسباب الحذف أما الفصل الثاني فكان خاصّاً بأغراض الحذف، وعرض في الفصل الثالث شروط الحذف، والفصل الرابع فكان بعنوان تقدير المحذوفات درس فيه أسس التقدير وأولوياته، أمّا الفصل الخامس فتناول فيه أنواع الحذف ومواضعه وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ نتائج البحث .

وثمّة دراسات كثيرة تناولت ظاهرة الحذف، ولكلّ باحث طريقته الخاصّة في عرضها، و هذه الدراسة تتميّز من غيرها؛ بأنّها تناولَتْ ظاهرة الحذف في قصيدة محدّدة في شعر الشاعر، محاولةً من خلالِها أن ألتمس المعنى الكامن وراء الحذف وليس تعيين المحذوف .

تمهيد:

- **الحذف لُغةً:**

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين في مادة حذف: " الحَذْفُ قَطْفُ الشّيء من الطَّرَف كما يُحْذَف طَرَفُ ذَنَبِ الشَّاةِ والمحذوف: الزِّقُّ... والحَذْفُ: الرَّمْيُ عن جانِبٍ والضّربُ عن جانبٍ. وتقول حَذَفني فلانٌ بجائِزةٍ أي: وَصَلني، وحَذَفَهُ بالسّيف: على ما فسَّرْتُه من الضَّرْب عن جانبٍ، والحذف: ضربٌ من الغَنَم السُّود الصِغار واحدها حَذَفة وفي الحديث[لا يتخللكُم الشَّيْطَانُ كأولادِ الحَذف] "[١]، والحذف مصدر" حَذَفَ الشَّيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَهُ من طرفه .. وحَذفُ الشّيء إسقاطُه وفيه حذفْتُ من شَعري ومن ذَنَبِ الدّابة أي أخذتُ، وفي الحديث: حَذْفُ السّلامِ في الصّلاة سُنَّةٌ؛ وهو تخفيفه وترك الإطالة فيه"[٢]، ومن المجاز مما ورد في أساس البلاغة للزّمخشري قولُه: " حَذَفَه بجائزةٍ: وَصَلَهُ بها ..وحذّفَ الصّانعُ الشّيءَ: سوّاه تسويةً حسنةً كأنّه حذفَ كلّ ما يجب حذفُه حتّى خلا من كلِّ عيبٍ، وتهذّبَ ومنه فلانٌ مُحَذّف"[٣].

---

[١] كتابُ العينِ مُرتباً على حُرُوف المُعْجَم: الخليل بن أحمد الفراهيديّ(١٧٠هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكُتُب العلميّة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، ٢٩٧/١، مادة حذف.

[٢] لسان العرب: ابن منظور (٧١١–٦٣٠هـ)، تح: أمين محمد عبد الوهّاب ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م، ٩٣/٣، مادة حذف

[٣] أساسُ البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عُمر بن أحمد الزمخشريّ(٥٣٨هـ)، تح: محمّد باسِل عيون السُّود، دار الكتب العلميّة ، بيروت– لبنان ،ط١ ،١٤١٩هـ–١٩٩٨م،ص١٧٧، مادة حذف

وخُلاصة القولِ فيما ورد من مادة حذفَ أنَّ الحَذْفَ لغةً هو :التَّركُ، والإسقاطُ، والقَطْعُ، ويعدُّ ضرباً من ضروب الإيجاز مع عدم الإخلال بالمعنى ، وسنلاحظُ أنَّ ثمّة ارتباطاً وثيقاً بين المدلول اللّغويّ والاصطلاحيّ للمادة .

- **الحذف اصطلاحاً:**

تنماز اللغة العربيّة من غيرها بأنّها لغة ذات نظام قواعديّ صارم، والنّحاة نادُوا بمراعاة تلك القواعديّة لذا نجدهم عندما يحصل ثمّة اختراقاً أو خروجاً عن ذلك الأصل المنضبط لجأوا إلى الحديث عن الإضمار والحذف والتأويل، وهذه أمور تنمُّ عن مدى عنايتهم واهتمامهم بتحقيق السّلامة النّحويّة واللغويّة، ومن بين الاختراقات نجد الحذف الّذي هو ظاهرةٌ لغويّةٌ نحويّةٌ ذاتَ مغزىً دلاليّ، يسعى المتكلّم من خلالِها إلى تنشيط ذهن المتلقي وجعله في حالة استنفارٍ دائمٍ لتتبّع المعنى وإدراكه من خلال استعادة تلك المحذوفات فلو اقتصر النصّ على الجُمل السّطحيّة الظّاهرة لما كان الحذف مساهماً في تحقيق الاتساق النصّي، بل لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار البنى العميقة للتّراكيب؛ فالحذف يقع فيها لا بالبنى السطحيّة، وباستعادة المحذوفات يتحقّق معنى النّص المُنسجم المُتسق من خلال مراعاة المقام التّواصليّ الّذي يرد فيه الحذف؛ فهو إذاً ظاهرة مشتركة بين مرسل ومتلقي والمتكلّم أو المرسل عند قيامه بعملية إنتاج النص يضع في حسبانه ذلك المتلقي، ويعمل على زجّه وإشراكه في عملية تكوين المعنى عن طريق إسقاط بعض الألفاظ أو التراكيب أو الحروف ويتسنّى له ذلك عندما يكون المتلقي قادراً على استدراك المحذوف وإلّا عُدّ حذفه ضرباً من تكليف العلم بالغيب، كما أنَّ أهميةَ الحذفِ تَكْمنُ في ضَمَانِ الاستمراريّة النّصيّة دونَ أن يحدثَ تَفَكُّكاً في العملية التواصليّة، وفي تحقيق التّماسك المنطقيّ للتّراكيب بعيداً عن الحشو والتكرار الّذي قد يفقد النصّ توازنه ورونقه، فالحذف على ما سبق يحقّق مبدأ الاقتصاد اللغويّ واللّغةُ العربيّةُ بطبيعتها تميل إلى الإيجاز غير المخلّ بالمعنى .

فالحذف اصطلاحاً باختصار هو: "إسقاط حرف أو كلمة أو حركة من كلمة بشرط ألّا يتأثّر المعنى أو الصياغة بذلك"[1] فالمعنى وعدم الإخلال به شرْط رئيس لاستساغة المحذوف؛ فالألفاظ وُضعت للدّلالة على معنى فإذا اكتمل المعنى فلا ضير بإسقاط بعض الألفاظ مادام المعنى بقي محافظاً على الغرض الّذي يروم المتلقي إيصاله، فالتعريف الاصطلاحي نجده مضارعاً للتعريف اللغويّ.

والنحاة العرب اهتموا بموضوع الحذف بدءاً من سيبويه إمام النحاة ففي كتابه تحدّث تَحْتَ أبوابٍ كثيرةٍ عن الحذف يقول في "باب ما يكون في اللفظ من الأعراض ،اعلم أنّهم ممّا يَحذفون الكلم وإنْ كان أصلُه في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوّضون ، ويَستغنون عن الشيء بالشّيء الّذي أصله في كلامهم أن يستعمل ..فممّا حُذف ...لَمْ يَكُ ولا أَدْرِ وأشباهُ ذلك"[2]، وقد استعرض علل الحذف فهو إمّا "لكَثْرَة الاستعمال حتّى غدا المحذوف كأنّه بمثابة المذكور لشيوعه وكثرة استعماله، أو ضربٌ من اتّساع الكلام، أو للاختصار، أو للتخفيف، أو أنّه ناجم عن علم المخاطب بالمحذوف"[3] وما دام المخاطب عالماً بالمحذوف فالسكوت عنه يعدّ من قبيل البلاغة.

---

[1] المعجم المفصّل في النحو العربيّ: د. عزيزة فوّال بابيتي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٤٥١

[2] الكتاب : سيبويه أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبَر(١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارُون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ٢٤/١–٢٥

[3] يُنظر: الكتاب : سيبويه أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبَر(١٨٠هـ)، ٢٨٠/١، ١٣٠/٢، ٥٣/١، ٢٣٩/٢، ٣٤٥/٢–٣٤٤

وقد تابع المبرد سيبويه بأنَّ العرب تجوّز حذف ما كَثُرَ استعماله يقول: "الحذف موجودٌ في كلِّ ما كَثُرَ استعمالُهم إيَّاه"( )، فالاستعمال مسوّغ رئيس للحذف، وقد اشترط النّحاة في باب الحذف " العلم ، وأمن اللّبس ، والشّيء إذا عُلم وشُهر موقعه سَهُلَ حذفُه وإسقاطه"( ) ٢

فإن انتفى الدّليل فالحذف غير جائزٍ، و يجد المبرد أنّه إذا أمن اللبس فالحذف لا ضير فيه وذلك أنَّ للأشياء أصولاً ثم يحذف منها ما يخرجها عن أصولها" فمن هذا المحذوف ما يبلغ بالشّيء أصله ، ومنه ما يحذف لأن ما بقي دالّ عليه وإن لم يكن ذلك أصله"( )، وكان الاستغناء بعلم المخاطبّ بالمحذوف مسوّغاً للحذف عند المبرد كما عند سيبويه .

أمّا ابن جنّي فقد أوضحَ أنَّ الحذف يطال كل عناصر التراكيب العُمَد منها والفضلات وبيّن أنواع الحذف موضّحاً أنّه لا يصحّ الحذف دون دليل عليه يقول تحت باب في شجاعة العربيّة: "لقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف والحركة، وليس من شيء في ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"( )، ونجده يركّز في أكثر من موضع على مسألة الدليل على المحذوف والدّليل نوعان حالي ومقامي " فأمّا إن عَريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز"( )، فكلّ لفظ إن كان المعنى لا يؤدّى إلّا به فذكره واجبٌ وحذفه غير جائز إلّا بوجود القرينة الدّالة عليه. ٥

فالحذف إذاً على ضربَين حذفٌ حسنٌ وآخر قبيح مُخِلّ بالمعنى، فالحذف يعتبر" جيداً إذا لم يكن اللفظ قاصراً عن أداء المعنى، أمّا إذا كان قاصراً عن أداء المعنى فهو قبيحٌ، ومثال ذلك قول الحرث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النوك ممّن عاش كدّا

أراد العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، وليس يدلّ لحن كلامه على هذا"(٦)

كما أعرب ابن جنّي عن الموقف الكلامي بأبعاده وأثره في استكناه المحذوف؛ فمعرفة المتلقي ملابسات الكلام والنّظر إلى وجوه المتكلمين وتفرّسها قد يوضّح الكثير من إشارات الاستفهام العالقة في الذّهن ويجعل القارئ متواصلاً مع الخطاب مدركاً معانيه وعارفاً خفاياه الكثيرة، فالقرينة الحاليّة لها دور كبير في الدلالة على المحذوف يقول موضّحاً ذلك: "وقد حُذِفَتْ الصفة ودلّت الحال عليها ..، بقوله سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل .. وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته." ( ) كما أنَّ النَبْر والتنغيم يؤدّيان دوراً بالغاً في توضيح المحذوف "وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوّة اللفظة

---

(١) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: أ. الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ١٤٤/٢

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص٤٠٣

(٣) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ٣٨٣/١

(٤) الخصائص: أبو الفتح عُثمان بن جنّي، تح: محمّد علي النجّار، المكتبة العلميّة، د.ت، ٣٦٠/٢

(٥) المرجع السابق ، ٣٧١/٢

(٦) الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم : مصطفى عبد السّلام ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٧

(٧) الخصائص: أبو الفتح عُثمان بن جنّي، ٣٧٠/٢-٣٧١

بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكّن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً كريماً أو نحو ذلك... وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سَمْحاً أو جواداً..." ( ) وهنا نجده يركز على فكرة العلم بالمقام الخارجي وكلّ ملابسات الموقف الكلاميّ فهي قد تغني عن النّطق باللفظ لكون المتلقي يكون عارفاً ومشاهداً ما تمّ حذفه فلا تؤثر كثرة المحذوفات على العملية التواصليّة ويبقى المشهد مفهوماً، ونختم آراء ابن جني في باب الحذف بأنّ اللّغة العربيّة بطبيعتها تؤثر الإيجاز والاختصار مع عدم الإخلال بالمعنى يقول ابن جنّي: "اعلم أن العرب ..إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد "( ) .[٢]

أمّا علماء البلاغة وعلى رأسهم **الجرجاني** اهتمُوا بظاهرة الحذف لكنّ دراستهم لها لم تقتصر على معرفة المحذوفات والإشارة إليها بل تفنّنوا في إظهار مكامن الجمال الّتي تظهر بالحذف من الناحيّة الدلاليّة وأبدعوا في ربط الحذف بالمعنى؛ فالمعنى عند الحذف أبقى في الذهن لكونه يتطلب مشقّة لإدراكه ، والحذف عندهم قسمان: قسم يظهر الحذف فيه من خلال العلامات الإعرابية وآخر لا يدرك إلّا عند التدقيق في المعنى فنجد الدلالة لا تكتمل إلّا بمراعاته، وظهوره يفقد المعنى ذلك الرونق والحلاوة وتضيع النكتة البلاغيّة الكامنة وراء ذلك المحذوف، فقد عدَّ الجرجانيّ الحذف باباً لا مثيلَ له وهو أشدُّ بلاغةً من الذّكر يقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن "( ) فالحذف الحسن في موضعه له في النّفس وقعٌ عجيب يقول: "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلّا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النّطق به"( ) ونجده يتحدث عن المزايا واللّطائف في باب المفعول به ويجدها أكثر من غيره فهو يعتمد البيان بعد الإبهام وهذه الطريقة لها تأثير كبير في النفس يقول: "حذف المفعول به خصوصاً، فإن الحاجة إليه أمسّ، وهو بما نحن بصدده أخصّ، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"( )، فالجملة المختزلة أو الموجزة تعتمدُ بالّدرجة الأولى " على ذكاء القارئ والسامع وتعوّل على إثارة حسّه، وبعث خياله، وتنشيط نفسه حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ الّتي طواها التّعبير"( ).[٦]

---

[١] المرجع السابق نفسه.

[٢] المرجع السابق ،٨٣/١

[٣] دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني، مديرية الكتب والمطبوعات، ١٩٨٨-١٩٨٩م، ص ١١٢

[٤] المرجع السابق، ص١١٧

[٥] المرجع السابق، ص١١٨

[٦] خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. محمد محمد أبو موسى ،مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص١٥٣

- **في مفهوم النّظم:**

إنَّ مفهوم النّظم يرتكز على معرفة النّاظم بعلم النّحو وقوانينه يقول في ذلك الجرجاني: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ..فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي ..ويتصرّف في التّعريف والتّنكير والتقديم والتأخير في الكلام كلّه وفي الحذف والتّكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"( )، فعندما يريد المتكلّم أن يعبّر عن خوالج نفسه وما يجول في كنهه نجده يعبّر بالتراكيب لا بالألفاظ المفردة ذلك؛ لأنَّ اللفظة المفردة لا تفيد شيئاً ما لم تلتحم مع شقيقتها ويتجه إليها القصد، ونحن في بحثنا هذا لا نريد التعميم فنظم الشّاعر يختلفُ كُليّاً عن نظم غيره ولغته الفنيّة تشهد له بذلك، فالشاعر لا ينظم التراكيب المألوفة إنّما تراكيبه تتخللها وتكسوها الانحرافات عن البنى الرئيسة فالنظم ليس نظم الكلم فحسب بل هو نظمٌ لحمته المعنى، فاختلاف النّظم يتولّد عنه اختلاف المعنى، وبالتالي نجد أنّ الدلالة هي المتحكّم الرئيس في كيفيّة النظم فلكلِّ مقامٍ مقال يناسبه فعندما يتطلّب المقام وتوصيل المعنى حذفاً أو زيادة لفظة أو تقديماً أو تأخيراً فإنَّ السياق سيتطوّع لتلبية ذلك، فنظم الكلم عند الجرجاني "هو أن تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشّيء كيف جاء واتفق.. والنظم كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علّة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"( ) كما أنَّ "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل "( ) فعندما يكون الناظم عارفاً فروقّ كل باب من أبواب النحو وكيفيّة استخدامه ويميّز بين صحة الوضع من عدمها فإنّه حينئذٍ يبدع في التعبير عن معانيه بأسمى الطُّرق يقول: "فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقّه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له "( )[٤]

- **الحذف وصوره في قصيدة الشّاعر حامد حسن معروف:**

يعدُّ الحذف ضَرباً من ضروب البلاغة والفصاحة ولكن ليس كل حذف يعدُّ كذلك؛ فهناك حذف فصيح وبليغ في موضعه، وهناك حذفٌ مخلٌّ بالمعنى فالحذف يكون مع مراعاة المعنى بالمقام الأوّل، والتراكيب النّحوية في الشّعر ينبغي التعامل معها بحذرٍ لأنها تكون ذات مستوى عالٍ تستثير الذّهن للكشف عن الدلالات الكامنة بين ثناياها، ولا بدَّ من التنويه إلى أن العناصر النحويّة على درجة واحدة من الأهميّة لا تفاضل بينها

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجانيّ، ص٦٤ -٦٥

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١

(٤) المرجع السابق، ص٦٥

من النّاحية التجريديّة، ولكنَّ الشّاعر يتلاعب في صياغة تلك الألفاظ في التراكيب فيحذف ويقدّم ويؤخّر حسب الغرض الّذي يروم كشف النقاب عنه لإيصال الصّورة المرادة بقالبٍ فنيٍّ رفيع المستوى، وللحذف أنواع: منها ما ينال الصيغ اللفظيّة، ومنها ما ينال الجمل برمتها، وكلّ ذلك مشروط باستمرار العمليّة التّواصليّة وعدم انقطاعها فبقاء الدّليل على ما حُذِفَ لا بُدَّ منه.

صاغ الشّاعر نصوصه الشّعريّة بلغةٍ شفافةٍ أنيقة تجذّرت في نفسِه كما تماهى هو فيها، ألفاظه سهلةٌ فصيحةٌ –في الأعم الأغلب – يفهمها السامع بأريحيّة لكن استخدامه لها في أطر تركيبيّة معتمداً على الظواهر اللغوية من مثل الحذف والتقديم والتأخير جعل منها ألفاظاً ذات دلالات عميقة، وتحتاج إلى تدبّر لمعرفة المقصود منها.

ومن صور الحذف في قصيدة الشاعر نذكر منها :

حذف المبتدأ:

يقول الشاعر حامد حسن معروف[١]:

زوجٌ كأنَّ الله ربّ العطف، لم يبدعْ سواها

كانتْ أم سهيل والّتي كنّى الشاعر بلفظ زوجٌ عن ذكرها الرّبيعَ الأجمل في شعرِه وفي حياتِه، وقد فجّر غيابها قبله إلى العالم الآخر قصيدة تمثّل رحلة عالم، وتجربة ملهم، واكتشاف صوفيّ، ورؤيّة مفكّر، ففي البيت السابق حذفَ الشاعر المبتدأ جوازاً وتقديره: (هي) أي أم سهيل هي زوجٌ، والابتداء بالخبر هنا له قيمته الدلاليّة؛ إذ يشدُّ انتباهَ القارئ إلى العنصر الموجود(زوجٌ)، وقد أراد إبراز مكانتها عنده وصلتها به، والتنكير هنا جاء موصوفاً أي محدّداً بخصوصيّة أرادها الشّاعر، وكأنّه يقول: الأزواج كُثرٌ لكنّ زوجي تتفرّدُ بخصال عن باقي الأزواج وكأنّ الخالق لم يخلق سواها زوج، وهنا يعبّر عن إبداع الخالق في خَلْقِها وتصويرها .

ومن أمثلة حذف المبتدأ في شعر حامد حسن قوله[٢]:

هذا ضريحُك؟؟أم تلا لٌ، من أكاليل الورادِ؟؟

يستخدم الشاعر في البيت السابق أسلوب الاستفهام المحذوف الأداة و تقديرها هنا همزة حسب السياق(أهذا ضريحك) فالاستفهام هنا خرج من دلالته الأصليّة إلى التّعجب والاستنكار، فالشاعر يستنكر ويرفض موتها مع أنّه يرى القبر لكنّه يضفي عليه بإبداعه حياةً وجمالاً(تلال الورود)، والتّلال فيها من العلو ما يوحي برفعة مكانة الفقيدة عند الشاعر، فهو لا يرى ضريحاً بل يرى تلالاً من الورود كما هي في نظره، ومشهد الورد يكاد يبعث في نفسنا عبق الحب والذكريات الجميلة، وفي حذف المبتدأ (هذه) للفظة تلالٌ بلاغة تغني عن التكرار والحشو المفهوم من السياق.

أمّا حذف الخبر فمن صوره في قصيدة حامد حسن نذكر[٣]:

وأنا به كالطِّفلِ، أعـ بَثُ في جوانبِهِ، وألهو!!

صوّر الشاعر نفسه طفلاً بعد رحيلها، وهذا التصوير يعبّر عن عجزِهِ أمامَ فاجعة الفقد ففي قوله: أنا به كالطفل الجار والمجرور هنا متعلقان بخبر محذوف تقديره(كائنٌ)، وقد استطاع من خلال هذا التشبيه أن

---

[١] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ط١، مج٢، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٣م، ص١٨١

[٢] المصدر السابق، ص١٨٨

[٣] المصدر السابق ،ص١٨٢

يوضّح مدى العجز الّذي أصابه حتّى أنّه باتَ طفلاً، ومشهُد البيت خاوٍ دليلٌ على أنّها كانَتْ تُضفي عليه حياةً زَالَتْ بزوالِها.

ومن نماذج حذف الخبر يقول معرباً عن الحب ومكمنه لديه[١] :

الحبُّ عندي في المشا عر، والجوارح، والعِظام

حذف الشّاعر الخبر والتقدير: الحبُّ موجودٌ أو متمثّلٌ عندي، ونلمح من حذفه أنّه أراد إلصاق الحب بنفسه وكأنّه حازَ مَجمع الأشواق كلّها فتمثّل عنده، فصار ذلك الأمر معلوماً لا يتأتّى للمتلقي إنكاره وقد حمل البيت مشاعر الحبّ عند الشاعر وموطنها .

وفي موضع آخر نجد الشاعر يفصح عن مكانتها العظيمة فمن خلالها عَرف الحبّ وبها أدرك أسمى معاني الحياة يقول في صدد ذلك[٢]:

لم ندرِ لولاها، ولو لا حبّها معنى الحياة

فلولا هنا اسم شرط غير جازم يأتي بعدها مبتدأ خبره محذوف وجوباً، وعلى ذلك حبُّها مبتدأ خبره محذوف وجوباً و(معنى الحياة) سدّ مسد الخبر في المعنى–وليس هو الخبر–؛ فالشاعر هنا يعترف بأنّها عرّفتنا بنفسها وبحبّها معنى الحياة؛ فالحياة بالنسبة إليه هي زوجته ومن دونها لا يعرف للحياة و للحبّ طعماً، ولحظة إدراك المحذوف تريح النفس وتوضّح الدّلالة الّتي تكون مبهمة وغامضة لولا كشف الستار وإعادة الجزء المحذوف.

كما أنّ الشاعر يصوّر موقعه من حاملي النعش وهو يتبعهم إلى وداع محبوبته الأخير يقول[٣]:

وأنا وراءَهم ، وقد حملوا إلى "التوباد" "ليلى"

يصف الشاعر الموكب المهيب حيث المحبّون يحملون النعش، ويسيرون باتجاه حفرة الفناء، وفي قوله: (وراءَهم) يصوّر حاله وهو يتبع حاملي النعش بقلبٍ منفطرٍ من أثر الفراق فشبه الجملة الظرف متعلّق بخبرٍ محذوفٍ تقديره (أسيرُ).

يتابع الشاعر في رسم المشاهد وينتهي عند قوله[٤] :

ويكون داري – بعد أن فارقتِ داري– قربَ دارِكْ

إنَّ الشاعر في النهاية يتمنّى ويفوته الحاضر بكل ما رحب أن يفارق الدّنيا ليعيش في الدّار الآخرة إلى جوارها، ويرسم لنا صورة القبرَين حين يتوفّاه الله متلازمين كما كانا في الحياة، فالشاعر عند موته يتمنّى أن يُدفن بجانبها ويكون قبره بجانب قبرها لعلّه بهذه الأمنيّة يخفّف من وطأة الفراق، وخبر كان محذوف من متعلق شبه الجملة (قرب دارك)، وتقديره(كائنٌ)، ليصبح المعنى: يكون داري كائناً قربَ دارِكِ، واستطاع من خلال هذا الحذف أن يلصق داره بدارها ويجعله قربه فهو يرى قبرها كأنّه روضٌ من رياض الجنّة.

أمّا مواضع حذف الفعل أو الفاعل أو الفعل والفاعل معاً:

رسم الشاعر عن طريق حذف الفاعل بدلالة السياق صورةً جنّبها التكراريّة يقول[١]:

---

[١] المصدر السابق نفسه

[٢] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص١٩٩

[٣] المصدر السابق، ص١٨٧

[٤] المصدر السابق، ص٢٠٩

الشّعبُ يزحمُ كلَّ مُنـ ـعَطفٍ. ويشغلُ كلَّ ساحٍ

يعبّر الشّاعر عن أهمية زوجته لدرجة أنّ القادمين إلى وداعها عجَّ المكان بهم، وَضَاقَ على رحابتِهِ، إنَّ الفاعلَ لكُلٍّ من الفعلين يشغلُ ويزحمُ هو(الشعب) وهو فاعلٌ حقيقيّ لكنَّ الشاعر قدّمه على الفعلَين، وبهذا التقديم لم يعد بإمكاننا القول إنَّ الشعب فاعل مقدّم لأنّ كما هو معلوم في العربيّة الفاعل لا يسبق فعله، ولأن الفعل لا بدّ له من فاعل فتقديره هنا (الشعب)بدلالة المقال، فالشّاعر هنا رسم صورة الشّعب محاولاً زجّ المتلقي والزوجة في حضرة الغياب كيف كانت السّاحات والمنعطفات تعجُّ بالنَّاس لتوديع تلك المرأة الفاضلة الوداع الأخير، كما أنَّ تقديم لفظة الشعب له قيمته الدلاليّة في توجيه عناية المتلقي إلى كثرة الّذين خرجوا لوداع زوجه(كلّ منعطفٍ)تحمل دلالة الانفتاح والكثرة وكرّرها (كلَّ ساحٍ) للغرض ذاته.

يصف الشاعر زوجته ويغدق عليها من الأوصاف أحلاها قائلاً ([٢]):

يا ربّة الكفِّ النَديـ ـةِ، والطّهارة، والضّمير

يُكني الشاعر زوجته بالكرم والعفّة والنقاء والإيمان، وموضع الحذف في البيت تجلّى في أسلوب النداء، فالفعل فيه محذوفٌ لكَثْرَةِ استعمالهم إيّاه في الكلام وصارت (يا) بدلاً من التلفّظ به كأنّه قال: أناديك يا ربة وصارت يا بدلاً منها، لأنّك إذا قلت يا فلان عُلم أنك تريده، ويعدُّ هذا النوع من الحذف ضرباً من ضروب الاختزال والبيان، كما أنّه في استخدامه حرف النداء (يا) فيه مدّ يشير إلى بعدها عنه، وافتقاده إيّاها ويخرج صرخةً حزينةً بمدّ الألف(يا) فكانت الأداة هنا معبّرة عن الألم والوجع واللوعة فأطلقَ العنانَ بها .

ومن صور حذف الفعل نذكر قوله:([٣])

وإذا الرَّبيعُ رمى عبا ءتَهُ على فيحِ الكرومِ

حذف الشاعر الفعل بعد أداة الشرط إذا وتقدير الفعل هو نفسه الفعل المفسّر سواء أكان مثبتاً أو منفياً، وذلك يعني أن الفعل هنا بعد أداة الشرط مكرّر مرتين؛ مرّة بالتقدير وأخرى بالتّفسير ليصبح المعنى:(إذا رمى الربيع رمى عباءته) وهذا النوع من الحذف مطرد، يلفت انتباه السامع ويحفزّه للمعنى الّذي تقدّمه الأداة كما أن يؤكّد المعنى.

استعار الشّاعر لنظرتها فعل القول حتّى كأن العين أصبحت ناطقاً رسميّاً لكنّه كان جاهلاً بقولها يقول في صدد ذلك([٤]):

ما كُنْتُ أعلمُ أنَّ تلـ ـكَ النَّظرةَ الولهى نذيرَهْ

كانت تقولُ–وكنتُ أجـ ـهلُ ما تقولُ–أنا الأخيرَهْ

يعيد الشاعر لنا المشاهد بطريقة تثير في النَّفس شعور الحزن والألم فحتّى نظرتها كانت ناطقة متكلّمة لكنّه كان جاهلاً بما تكتنزه، ففي قوله: (كانَتْ تقول) حذف الشاعر لفظة النظرة وهي اسم كان وهو يحيل إحالة قبلية قريبة، وحذف فاعل القول أي: تقولُ النظرة "أنا الأخيرة" هذا النَّظم البارع ينبئ عن إبداع شاعرنا؛ فقد أسبغ على النَّظرة صفات إنسانية فأعطاها إمكانيّة القول، فنظرتُها أفصح من النّطق.

---

[١] المصدر السابق، ص١٨٦

[٢] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن،، ص١٩٠

[٣] المصدر السابق، ص٢٠٢

[٤] المصدر السابق، ص١٨٥–١٨٦

كما أنَّ من صور حذف الفاعل بدليل مقالي مذكور في ثنايا القصيدة ومبثوث ويدعو المتلقي إلى معرفة موضع الإحالة وأين تكمن وهل هي قبليّة أم بعديّة وذلك مرهونٌ بالمتلقي وقدرته العقليّة وحسّه الرفيع يقول ( )[١]:

أو لم يكن أغضى، وسا لمني مدى خمسين عاماً؟؟

هنا الشاعر يحيل على (الزمان) ويحذفه وهو الفاعل؛ فالشّاعر هنا يتخبّط بين معاتبة الزمان أو شكره فعندما يبدأ العتاب تستحضره تلك السنوات الّتي كانت ترفل فيها المحبوبة فنجده يتوقف عن المعاتبة فحاله يرثى لها.

يقول:( )[٢]

فإذا طغى، وبغى، وعر بَدَ، واعتدى سأظلُّ ساكتْ

كرّر الشّاعر ثلاثة أفعال بألفاظ مختلفةٍ لكنَّ المعنى واحدٌ وهو تعجرف الزّمان عليه وسَلب محبوبته منه، وهو هنا يحنُّ ويلوم الزمان ويعاتبه "طغى، بغى ،عربد" وكلّها حُذف منها الفاعل بدليل حالي .

يتحدّث الشاعر عن الأمهات وقلوبهنَّ المليئة حبّاً وحناناً يقول( )[٣]:

والنُّور نورُ الله يَشـ رِقُ من قلوب الأمهات

حذف فاعل يشرق وهو (النور) وهو إحالة قبلية قريبة، والشاعر هنا يختبر المتلقي وإدراكه يشرق النور من قلوب الأمهات يا لها من صورة عجيبة تشعُّ حيويّةً وتثير الدهشة والغرابة لكنّها صادقة ، والشّاعر من خلال هذا التقديم هدفَ إلى توجيه عناية المتلقي إلى أنَّ نور الأمّهات مستمدّ من نور الله، وبالتالي نجده يركّز على أنّ الإله قد خصّ الأمهات بالمكانة السامقة بأنّ جعل الإشراق ينبع من قلوبهنَّ .

الشاعر تستحضره المحبوبة وتستولي على تفكيره فبها عرف قيمة الحياة ومعناها وغيابها عنه شكّل فجوة لا يسدّها سواها، فحواء هي الحياة بمعانيها السّامية ( )[٤]:

كلُّ اختلافٍ كان أوّ لَه، وآخرَهُ، عتابُ

حذف الشاعر هنا الفعل الناقص (كان) فالأصل: كان عتابٌ آخرَهُ والحذف هنا جائز لأنه بالرجوع إلى السياق يفهم أنّه ثمّة حذف كما أنّ العلامة الإعرابية كانت خيرَ معينٍ في اكتشاف أنّ هنالك حذفاً معيناً، والعطف على السابق سهّل الحذف وحذف أيضاً اسم الفعل الناقص الأصل: كان عتابٌ أوّله والسياق أدّى دوراً كبيراً في استعادة المحذوفات، فالمعنى بإرجاعها يصبح أجلى.

ومن نماذج حذف الجملة(الفعل والفاعل) في سياق المصدر الدال على طلب نائب عن فعله يقول:( )[٥]

بُعداً، وسوءَ غدٍ لمنْ ظلموكَ يا "عَبد المُعينِ"

حذفَ الشاعر هنا عامل المصدر وجوباً وأكثر ما يأتي على أربعة أنواع: أمر ،نهي، استفهام، ودعاء، والسياق هنا دعاء فالشاعر يدعو بالهلاك وسوء العاقبة على ظلّامهما هو والشاعر عبد المعين

---

[١] المصدر السابق ،ص١٩٢

[٢] () المصدر السابق نفسه.

[٣] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص١٩٩

[٤] المصدر السابق، ص١٨٣

[٥] المصدر السابق، ص١٩٤

الملوحي الذي استحضره في قصيدته لأنّه عاش صنو تجربته ومأساته؛ ففي قوله: (بُعداً) تقول العرب: بُعداً وسحقاً أي أبعده الله وأسحقه، يقال: سُحقاً لهم أي بعداً لهم، هذا المصدر منصوب بفعل مضمر من لفظه تقديره(أبْعدُ)وهو هنا "بالنصب على الدّعاء يقول ابن سيده: بُعداً له نصبوه على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره أي أبْعَدَهُ اللهُ"(١).

يقول الشّاعر في لحظة انكسار واستسلامٍ لموت زوجته (٢):

سأذيب أحلامي، وآ لامي وأسكبها قصيدةً

ففي حذفه الفاعل يفتح الآفاق على عوالم خياليّة ماذا سيسكب الشاعر؟ والّذي يقرأ التركيب لأول وهلة يحسب أنّ هناك شيئاً ما قابلاً للسكب كالماء وسواه إلّا أنَّ سكب الشاعر يتجسّد في الآلام والآمال، وقد صبّها في قصيدة تحمل خلاصة تجربة شاعر إزاء موقف الفراق .

كما نلمح من أنواع الحذف المستعملة –وبكَثرة عند شاعرنا– **حذف جملة جواب الشرط** والتي تكررت على مساحات واسعة من القصيدة، فقد أنشد الشاعر عبره المعنى بطريقة فريدة من نوعها بتقصّي سُبُلَ التّنويعِ في الكلامِ كما ينشد غاية الإبلاغ والبيان لما أراد لكن بأوجز عبارة يقول (٣) :

سأعيش إن طالت بي الـ أيامُ إنساناً معذّب

حذف الشاعر جملة جواب الشرط لأنّه تقدّمها واكتنفها ما يدلّ عليها ؛ (سأعيش)وهو الجواب، ليصبح المعنى على الشكل الآتي: إن طالت بي الأيّام (سأعيش) إنساناً معذّباً، فبعد أن يستحضر الشاعر الشرط المحذوف الجواب يمكننا استدراك دلالته بالعودة إلى ما سبق الشرط فالشاعر هنا قدّم الجواب على المستوى العميق للتركيب ولذلك التقديم دلالته المؤثرة فالمقدّم يحتفي بعناية ويوضّح ما يكابده شاعرنا فهو سيعيش معذبّاً إن طالت به الأيام، ولكنَّ عذاب ذكراها محبّبٌ لديه وهنا المفارقة، أمّا على المستوى الظاهري للتركيب فجواب الشرط محذوف بدلالة ما تقدّم، ولو ارتاد الشّاعر الرتبة العادية لما أحدث ما أحدثه من تكثيف الدّلالة وإيصالها للمتلقي بتلك الطريقة الّتي جعلت العذاب والغياب مقرونين بحياة الشاعر إن طال عمره.

يستثير الشاعر ذهن المتلقي بتعجبّه من وجع النكبات وخاصّةً إن كانت دون سابق علمٍ أو إنذار وحديثه هنا عن لحظة الموت التي تخطف زوجه(٤):

ما أوجعَ النّكبات ، إن نزلت على غيرِ انتظارِ

إنَّ الشاعر أسقط جواب الشرط بدلالة ما قبله عليه، والجواب المحذوف (ما أوجع النكبات)بعد قوله: إن نزلت على غير انتظار ما أوجعها (يقصد النكبات)الّتي هنا قُدّمت؛ وأفاد التقديم تركيز الدلالة على عمق الفاجعة ولو التزم التركيب بالرتبة المألوفة لفقد التركيب الشرطي دلالته القيّمة المبنيّة على إشراك المتلقي وجعله عنصراً فاعلاً في خضم القصيدة، فالشاعر هنا يشرك المتلقي في الخطاب مستخدماً أسلوب التّعجب فهو يتساءل متعجبّاً عن صعوبة النّكبات والمصائب إن حلّت فكيف إذا كانت من غير سابق إنذار؟!، والّذي سوّغ الحذف هنا هو أن تقدّم الشرط ما يدلّ عليه .

---

(١) لسان العرب :ابن منظور ، مادة (بعد)

(٢) الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص٢٠٨

(٣) الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص٢٠١

(٤)المصدر السابق، ص١٩٠

حذف الحرف أو شبه الجملة :

يتجلّى هذا النّوع من الحذف في قوله معرباً عن لحظة موت الدّنيا في عينيه بعد فَقْدِها فلا السماء وعلوّها وشامخات القصر تعنيه ولا حتّى الأرض (التّراب) [1]:

سيّان بعدك شامخا ت القصرِ عندي، والتّراب

يقصّ لنا الشّاعر زهده من الدّنيا بعد فراقها فلا شيء بات يعنيه، نجده يحذف حرف الجر(مِنْ) فأصل التركيب على الصيغة الآتية: سيّان من بعدِكِ شامخات القصر عندي والتّراب فالشاعر كانَ يحذف الحرف رغبةً منه بعدم التّلفظ بغيابها فلو قال من بعدكِ لشهد أنّها غابت عن حياته لكنّها باقية وموجودة بدلالة الحذف.

يستعيد الشاعر راسماً مشاهد الحضور(الزوجة)قائلاً[2]:

بالأمس كان البيتُ يَطْ فحُ بالحياة، وكان يزهو

إنَّ لحظات الاسترجاع تكاد تسيطر على أبيات القصيدة، فهي تخليدٌ لحياتهما بكلّ تفاصيلها، يستعيد الشاعر أيّام كانت في البيت تملؤه حياةً، فالبيت بها كان مملوءاً، كما كان البيت يزهو بالحياة أيضاً، فحذف الشاعر هنا اسم كان(البيتُ) وحذف أيضاً (بالحياة) فالتركيب :وكان البيتُ يزهو بالحياة بالأمس ولفظة بالأمس تشعرنا بالأمس القريب على الرغم من أن القصيدة قد تُقرأ بعد عشرات السنين لتظلّ هذه اللفظة تشي بالأمس القريب مهما طال الزمن عليها، وموضع الشاهد هنا (حذف شبه الجملة) وكان يزهو (بالأمل والحياة) حذف الشاعر هنا لدلالة الفعل على المحذوف، فالفعل يزهو يشير إلى معاني الزّهو الّتي كان يرفل البيت بها، تستحضره ذكريات البيت النابض بالحياة حين كانت موجودةً، ولكن بعد الرحيل يتحوّل إلى جدران خاوية من الحياة والأمل.

ومن صور حذف أداة التشبيه وهي الكاف قوله[3]:

الزاحفون إلى ودا عك يملأون الدرب سيلا

يملؤون الدرب سيلاً أي الزّاحفون كالسيل فالمحذوف أداة التشبيه الكاف، إذ شبّه الّذين يسيرون إلى مكان دفن زوجه بالسيل وهو دليل على كثرتهم فالشّاعر من خلال هذه الصورة الفنيّة استطاع أن يعرب عن حالته النفسية فرآهم كالسيل، فصورة السيل الجارف قد يقصد بها مواجهة الموت، أو ربّما أرادَ غسلَ أحزانِه باستحضارِ الماءِ فنّياً فالصورة هنا قابلة للتأويل وتعتبر مفتوحة على دلالات وأوجه متعدّدة بتعدّد القرّاء واختلاف الزمان والمكان.

ومن **حذف جواب الاستفهام** قوله[4]:

لم يبقِ لي أملاً أعيـ شُ لأجله، فعلامَ أبقى ؟؟

تستولي على هذا البيت لحظات انكسار الشاعر ورضوخه للأمر الواقع، ويعبّر عن استيائه من الزمان الّذي تركه وحيداً لا أمل لديه؛ فهي كانت منبع الأمل وأخذتها يد الموت منه، ويتساءل علامَ البقاء بعدها؟ ليكون جواب الاستفهام (لا يوجد شيءٌ يبقى لأجله فلا فائدة من البقاء) .

---

[1] المصدر السابق، ص١٨٠

[2] المصدر السابق، ص١٨٢

[3] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص١٨٧

[4] المصدر السابق، ص١٩٢

ومن حذف الجواب أيضاً يقول[١]:

هل تغضبين إذا سألـ ـتُكِ: أينَ عدلُكِ يا سماءُ؟؟

إنَّ الشاعر يظهر حالة الغضب التي تعتصره حتّى أنّه أسبغ على السّماء صفات العاقل، فبات يطرح عليها السؤال غير منتظرٍ الرّد إن كانت ستغضب من سؤاله إليها كيف أخذت ملاكه؟ فيسألها: أين العدل الموجود فيك؟ فجواب الاستفهام حاضر بداهة من تجربة الشاعر: لا عدل؛ لأنّ السّماء سلبت منه رفيقة دربه، وعاد وحيداً يجابه الحياة .

يتكرّر هذا النّوع من الحذف حتّى يغدو ملمحاً أسلوبياً في شعره[٢] :

هل كلُّ من يشكو ظُلا متـه. يكون الشّاكي قليلَ دينٍ؟؟

يتساءل هل باتت الشكوة من ظلام الدّنيا بعد رحيلها تشير إلى عدم الجلد والصبر من اختبار الباري، ونجده يستحضر الشاعر عبد المعين الّذي هو صنو حامد حسن في المأساة، فالشكوة لا تدلّ على قلّة الإيمان فكلّ إنسان لا بدّ وأن يشكو وجعه لعلّه يتصبّر على الفراق فجواب الاستفهام: (لا)، وهي محذوفة لكنّها مفهومة ضمناً.

ومن حذف متعلّقات الفعل **نذكر المفعول به :**

إذ تحدّث الشاعر كيفَ أضناه الفراق وماذا حصل له يوم غد الفراق وماذا سيحصل له [٣]:

واللهُ يعلمُ ما لقيـ ـتُ غد الفراق وما ألاقي

يخاطب الشاعر زوجه الرّاحلة يتحدّث إليها مُبرزاً ضعفه بعد فقدها وما آل إليه، فيصف ما لاقاه بعد رحيلها بيوم من ألمٍ وعذابٍ، إنّه يفكّر بما سيواجهه في مستقبلٍ لا تشارك فيه، ففي قوله وما سألاقي: أي أنَّ العذاب والألم لم ولن يفارقانه على الزمان البعيد، فالشاعر حَذَفَ المفعول به (ضمير الهاء)في(لقيته)و(ألقاه) ، والحذف جائزٌ لانتفاء التباس المعنى بحذفه .

أمّا قوله[٤] :

لم يدرِ غيرُ الله ما ألقَى، وما أخفي ، وأبدي

يعبّر عن إيمانه المطلق بأن الله وحده العارف ما حلّ به بعد غيابها، حذف الشاعر في البيت المفعول به أيضاً وهو(ضمير الهاء) فالبنية العميقة للتركيب هي (ألقاه)، (أخفيه)،(وما أُبديه) والّذي سوّغ الحذف التخفيف ولعلم المخاطب بالمحذوف والمقام يتطلّب الإيجاز .

ومن متعلّقات الفعل المحذوفة الحال[٥]:

وأكادُ أسمعُ همسَ صو تِكِ، في الغمامة: ما نسيْنا

---

[١] المصدر نفسه، ص١٩٤

[٢] المصدر السابق نفسه.

[٣] الأعمال الشعريّة الكاملة: حامد حسن، ص١٨٨

[٤] المصدر السّابق، ص١٨٩

[٥] المصدر السّابق، ص٢٠٣

الشاعر تستولي عليه المحبوبة استيلاءً كاملاً لدرجة أنّه يتذكّر همس صوتها، وتستحضره الذّكريات المفعمة بالحياة لكنَّ استحضاره يحوّلها إلى ذكريات قاتمة مرّة، وموضع الحذف في البيت يتجلّى في حذف الحال وتقديرها: (قائلاً) ما نسينا، فهمس صوتها يقول ويتكلّم عن تلك الأيام الجميلة ويقول ما نسيناها البتّة.

- **الخاتمة:**

ختاماً بعد دراسة التراكيب النحوية –تراكيب الحذف– ، وأثرها في المعنى في قصيدة الرثاء عند الشّاعر حامد حسن معروف (قصيدة عاد الرّبيع بكلِّ لاهثة العبير ولم تعودي–أم سهيل أنموذجاً) توصلنا إلى ما يلي :

– يكاد يجمع اللغويون أنَّ الحذف هو: التَّركُ والإسقاطُ والقَطْعُ والقَطْف ، نلاحظ أن ثمّة ارتباطاً وثيقاً بين المدلول اللغوي لمادة حذف والمدلول الاصطلاحي؛ فالتعريف الاصطلاحيّ جاء مضارعاً للغويّ، إذ كان النّحاة على وعي بمفهوم الحذف ومدركِين بلاغته ومنهم: سيبويه والمبرد وابن جني، ففي خضم حديثهم نجدهم يشترطون سلامة المعنى بالدرجة الأولى، فالألفاظ وضعت للدلالة على معنى فإذا كان المعنى قائماً من دون ذكر اللفظ فحذفه لا ضير فيه، والحذف يصيب كل عناصر التركيب ولا فرق بين عُمد وفضلات فأي لفظة خاضعة للحذف؛ والفيصل هو وضوح المعنى ووجود الدليل على المحذوف، فالنحاة اهتموا ببيان المحذوفات وتحدّثوا عنها وهدفهم الرئيس مراعاة السّلامة النحوية واللغويّة لأصولهم المنضبطة، أمّا علماء البلاغة –وفي طليعتهم الجرجاني– لم يكتفوا باستخراج المحذوف والإشارة إليه؛ بل تفنّنوا في دراسة مكامن الجمال الّتي تنبثق من التركيب من خلال الحذف، وربطوا الحذف بالدّلالة وأثر هذا المحذوف على المعنى فعنايتهم كانت منّصبة على المعنى أكثر من الإشارة إلى موضع الحذف فلا تغيُّر يصيب التراكيب في البنى العميقة ويخرجها إلى السّطح فيها انحرافات إلّا لغرض يجد المتلقي أنّه أقدر على حمل تجربته أو نقل شعوره .

–إنَّ النّظم ليس بالأمر اليسير، فهو يحتاج إلى كدِّ الذّهن، وإعمال العقل وينبغي على النّاظم أنَّ يكون ملمّاً بعلم النحو عارفاً أبوابه، والفروق الدّقيقة فيما بينها، كما أنَّ النّظم لحمته المعنى، فالمعنى هو المتحكّم الرئيس في كيفيّة النّظم، واختلاف النّظم بين التراكيب يتبعه تغيّر المعنى .

–شهدت هذه القصيدة تحولات على صعيد البنيّة اللغويّة ، نجح فيها الشّاعر بتمزيق النظام السائد ولعلّه بانحرافه هذا خفّف من آلمه، فقصيدته خطّها وزخرفها بطريقة عجز مسطرو الحروف عن الإتيان بمثلها أو مجاراتها.

–عبّر الشاعر من خلال تراكيبه الّتي وقع فيها الحذف عن تجربته الشعورية إزاء موقف الفراق، فهذه المحذوفات كان الشاعر يخفيها بيدَ أنَّ السياق كان يعمل جاهداً على كشفها وإظهارها.

– الحذف ظاهرة أسلوبية عملت على تفجير شحنات فكريّة متّقدة لدى المتقبّل، بهدف إحداث صدمة قرائية عنده وجعل ذهنه في حالة استثارة واستنفار دائم لاكتشاف المحذوف، كما أنَّ الحذف في القصيدة كان يخفي وراءه ستاراً من المعاني المغفل عن ذكرها أو المحذوفة قصداً، وقد نوّع الشّاعر في المحذوفات؛ فمنها ما كان ينال الصيغ اللفظية كحذف الفعل، الفاعل، المفعول، المبتدأ، الخبر، و منها ما ينال الجملة برمتها من مثل: حذف الفعل والفاعل، أو حذف جملة جواب الشرط فالحذف وقع في التركيبَين الاسمي والفعليّ.

–من أنماط الحذف الّتي استعملها الشاعر بشكل مطرد في قصيدته حذف الفاعل، والّذي هو في الأعم الأغلب كان زوجه، واستعاض عن ذكر لفظها بذكر مكانتها وصلتها به، وكنّى عنها بألفاظ تشي بفرادتها وقداستها وطهارتها فهي ربيعه الأجمل كما صوّرها لنا .

-كما أن حذف شبه الجملة في القصيدة كان مطرداً، وكذلك حذف الفعل بدليل حالي مذكور، وتكمن أهمية الحذف عنده في تخليص النص من الحشو والتكرار المفهوم من السياق والّذي يفقد النصّ حيويته، كما أن الشاعر من خلال الحذف استطاع أن يضمن الاستمراريّة النصيّة و التماسك المنطقي لتراكيبه من دون أن يحدث أي تفككٍ في العملية التواصليّة، كما أنّه بحذفه أضفى على النصّ مسحةً جماليّةً، ودفع عن المتلقي السأم والضجر إذ جعله عنصراً فاعلاً ومشاركاً في إعادة تكوين المعنى النّصي بما يتناسب والمقام .

-ومن أنواع الحذف المستخدمة -وبكثرة عند شاعرنا- في القصيدة حذف جملة جواب الشرط، وقد ذكرت على مساحات واسعة منها، أنشد الشاعر عبر هذا الأسلوب المعنى بطريقة فريدة بتقصّي سبل التنويع في الكلام، ولو ارتاد الشاعر الرتبة العادية لما أحدث ما أحدثته من تكثيف الدلالة.

-تكرّر حذف جواب الاستفهام كثيراً في قصيدته، حتى غدا هذا الأسلوب ملمحاً أسلوبيّاً، فمن خلال هذه الأسئلة الّتي طَرَحَها عبّر عن استيائه أمامَ تلك الفاجعة الّتي حلّت به، فنراه يطرح الأسئلة غيرَ منتظر الإجابة فهو عارفٌ بالإجابة لكنّه أبى التلفّظ بها، فجلّ أسئلته تنمّ عن الوضع الذي آل إليه حاله بعد فراقها، وغضبه من الزّمان كيف تركه وحيداً يجابه الحياة من دونها، فالاستفهام عنده جاء مطعّماً بالاستنكار والتّعجب وبحذفه الجواب ترك الذهن يسلك كلّ مسلك في معرفته.

-طوّع الشاعر لغته فقدّم وأخّر بما يتوافق والمعنى المراد إيصاله، فسير اللّغة وفق الخطّ العريض المرسوم لها والّذي يُعنى بالقواعديّة النحويّة يجعل منها لغة نفعيّة بسيطة، واللّغة الشعريّة بعيدة كلّ البعد عن هذا الغرض، وحقّق من خلال التقديم والتأخير نصّاً مشحوناً بطاقة تأثيريّة عالية المستوى على الصعيدَين المعنويَ والصوتيَ التنغيميَ .

المصادر والمراجع:

١. *أسَاسُ البلاغة* : أبو القاسم جار الله محمود بن عُمر بن أحمد الزمخشريّ(٥٣٨هـ)، تح: محمّد باسِل عيون السُّود، دار الكتب العلميّة ، بيروت- لبنان ،ط١ ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢. *الأعمال الشعريّة الكاملة*: حامد حسن، ط١، مج٢، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٣م

٣. *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية*: د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤. *الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم* : مصطفى عبد السّلام ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.

٥. *الخصائص: أبو الفتح عُثمان بن* جنّـي، تح: محمّد علي النجّار، المكتبة العلميّة، د.ت .

٦. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. محمد محمد أبو موسى ،مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٧. *دلائل الإعجاز في علم المعاني* : عبد القاهر الجرجاني، مديرية الكتب والمطبوعات، ١٩٨٨-١٩٨٩م، ص ١١٢

٨. *الكتاب* : سيبويه أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبَر(١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارُون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٩. *كتابُ العينِ مُرتباً على حُرُوف المُعْجَم*: الخليل بن أحمد الفراهيديّ(١٧٠هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكُتُب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

١٠. *لسان العرب:* ابن منظور (٧١١-٦٣٠هـ)، تح: أمين محمد عبد الوهّاب ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

١١. *المعجم المفصّل في النحو العربيّ:* د. عزيزة فوّال بابيتي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٢م

١٢. *المقتضب:* أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: أ. الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.